



أصول العقائد

عبد الحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

● المقدمة :

الحمد لله رب العالمين خالق الاكوان ومعلم الانسان البيان
وخالق الشمس والقمر بحسبان وله النجم والشجر يسجدان واشهد
ان لا اله الا الله احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا
بيده الأمر كله ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا
كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير.

واشهد ان محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بلغ
الرسالة وادى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق
جهاده حتى اتاه اليقين.

وصلوات الله وسلامه عليك يا مبعوث العناية الالهية وشمس
الهداية الربانية وبعد.

فهذا كتاب اقدمه للعاملين في مجال الدعوة عسى الله تعالى ان
ينفعنا بما فيه ويرزقنا علما ينفعنا وعملا يرفعنا انه نعم المولى ونعم
النصير وبالإجابة جدير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف
عبد الحميد كشك

صور من عظمة الخالق

ونحن بصدد الحديث عن الايمان بالله وقضية الالهية كما جاء ذلك فى آية البر وفى جانب العقيدة بها رأينا من باب الأمانة العلمية ان نزيد تلك القضية أدلة قاطعة وبراهين ساطعة فاننا سنعرض لنظرات فى سورة النحل لما فى ذلك من اثبات قاطع للقدرة الباهرة وبين يدي هذه القضية نسأل لماذا سميت تلك السورة سورة النحل مع اشتغالها على موضوعات شتى ذلك لأنها بالتعبير الحديث مؤسسة اقتصادية عظمى التقت فيها شتى الثروات الالهية.

فمن الثروة البشرية الى الثروة الحيوانية الى عالم النبات الى مؤسسة الفلك الى دنيا البحار ومعادن الأرض وعلم طبقاتها الى مؤسسة صناعية شامخة القلاع فمصانع الالبان ترفع لواءها وصناعة الحلوى من النخيل والاعناب تشمخ بأنفسها والشهد الصافى يدل على صفاء قلوب المؤمنين وعالم الاجنة ينطق بأنه مخلوق للواحد الديان والطير تسبح فى جو السماء تُسبِّح الواحد.

«والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» وعالم الاسكان يهيمن عليه جو من الهدوء والسكينة وتنتقل الآيات الى صناعة

جلود الانعام وما تحويه من ثروات كامنة فى الاصواف والاورار
والاشعار الى غير ذلك من الآيات الباهرة ولما كان ذلك كله يكون
من ثروة اقتصادية مختلفة الألوان والمشارب فان النحلة عالم
اقتصادى بارع وصادق ومخلص لأنه يأخذ القليل من رحيق الزهر
والثمرات ثم يعطى الكثير والكثير فهو معطاء كريم يشهد له الجميع
بحسن التدبير والحكمة لاسيما فى بناء بيوته ، ومن هنا فقد سميت
السورة بأغرب شىء فيها وأعجبه ألا وهو عالم النحل ومملكته
الشائخة الباذخة الراسخة التى سنعرض لها بالتفصيل فى مواطنها.

تأمل فى نبات الارض وانظر

الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات

بأبصار هى الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

أيها القارئ الكريم :

إذا أيقن العبد بربه وعرف حقه من الوجدانية الخالصة استقرت

نفسه وثبتت تجاه تيارات الحياة وعواصفها بكل بروقها ورعودها ورياحها ورمالها ومن ثم فان القرآن الكريم يفتح مدارس المباركة ليوجه الى القلوب اضواء الوجدانية ودلائل القدرة حتى يبنى النفوس بناءً سليماً ويشيدها على تقوى من الله ورضوانه ولسوف نعرض الآن لبعض هذه المدارس في سورة النحل لنرى كيف قامت الأدلة القاطعة والحجج الساطعة على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته.

ففي سورة النحل نطق الأدلة بوحدانية الله وقدرته في شتى المجالات الكونية والأفاقية والانفسية شواخ راسيات ورواسى ثابتات لا تحركها العواصف ولا تؤثر فيها الرياح القواصف.

اسمع الى القرآن الكريم وهو يبدأ هذه السورة بهذا الانذار الذى يدعو كل عبد للاستعداد الى لقاء الله فلقاء الله حق واقع ولتؤكد وقوعه عبر عنه بلفظ الماضى كأنه قد وقع لأن الله لا يخلف وعده (أتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) الذى تنزل به الملائكة وأنه كالروح يحى الموتى وينزل غضا نديا يتقاطر نورا ورحمة ليعلم البشرية جمعاء انه لا معبود بحق الا الله فيقول سبحانه (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادة أن

أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون).

ولقد صدقت يا سيدى يا رسول الله حين اعلنت قولك
«أفضل ما قلته انا والنبيون قبلى : (لا إله إلا الله).
بعد ذلك تأخذ السورة الكريمة طريقها فى ذكر حشد من الأدلة
المتنوعة والناطقة بالوحدانية والقدرة فيقول سبحانه «خلق السموات
والأرض بالحق تعالى عما يشركون» ففى هذه الآية المباركة يذكر أن
العالم من عرشه الى فرشه ومن سمائه الى أرضه مخلوق بالحق لا لهوا
ولا باطلا ولا عبثا ولا لعبا وانما بالحق قامت السموات والأرض
«وما كنا عن الخلق غافلين».

وتعالى الله وجل جناب الحق ان يكون له شريك يناقشه
الحساب فهو الواحد العادل الحكيم المريد.

وبعد ذكر العالمين : العلوى والسفلى ينتقل الى خلق الانسان
فيقول سبحانه (خلق الانسان من نطفه فاذا هو نعيم مبين)
فالانسان سر الله فى أرضه ومعجزته التى حارت الافكار فيها يقول
الله تعالى «فلينظر الانسان مم خلق من ماء دافق».

فماذا كان من الانسان بعد ذلك، قف ياأخى وقفة تدبر،فكر
 فى هذا النص المبين «فاذا هو خصيم مبين» يقول علماء اللغة ان
 «اذا» حرف يفيد المفاجأة فهو بذلك يدل على أن خروج الانسان
 من اصله اللائق به نحو الله يعتبر أمرا غير مألوف مما كان ينبغى من
 الذى خلق من نطفة مهينة ان يفاجىء بالخصومة والخصومة لمن؟
 لخالقه ورازقه ومنشئه يقول تقى الدين الحسن البصرى عجبت لابن
 ادم يتكبر على الأرض وهى التى تناديه بلسان حالها يا ابن ادم لا
 تتكبر على ظهري لاننى غدا سأضمك فى بطنى كيف تتكبر
 يا ابن ادم وهو الذى أوله نطفه مذره واخره جيفة قدرة وهو ما بين
 هذا وذاك يحمل فى بطنه العذرة تؤذيه بقعة وتنثنه عرقة وتيمته شرقه
 كيف تعلن الخصومة على الله يا ابن ادم وانت الذى نزلت من
 مجرى البول مرتين مرة وأنت ماء مهين من أهلك واخرى وانت طفل
 من رحم أمك، عليك أن تذكر هذا أولا ولا تنسين انك حفنة من
 التراب فى البداية والنهاية «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
 تارة أخرى».

هذا خلق الله

لقى سفيان رضى الله عنه أمير المؤمنين هارون الرشيد راكبا
فرسه فقال له يا هارون اتق الله فنزل هارون عن فرسه وخر ساجدا
لله فلما رفع رأسه سأله أحد الناس فقال سجدت لأننى تذكرت
قوله تعالى: «واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم
ولبئس المهادر» فأردت بسجودى أن ألقن نفسى درساً فى معرفة
الله حتى اذا غرتنى قوى على ظلم الناس تذكرت قوة العزيز الجبار
من فوقى وهارون هذا هو الذى لما مرض واستدعوا له الطبيب أخبره
الطبيب أن يستعد بالتوبة للقاء الله فقال هارون قولته المشهورة :
إن الطبيب له علم يدل به

ما دام للمرء فى الأيام تأخير
حتى اذا ما انتهت أيام رحلته
حار الطبيب وخانته العقاقير

وهارون هذا هو الذى قال لهم «احملونى لأرى قبرى الذى
سوف أدفن فيه فلما وصل الى هناك توجه الى السماء وقد فاضت
عيناه من الدمع وقال لرافع السماء بلا عمد يا امن لا يزول ملكه

ارحم من زال ملكه .
أتيت القبور فناديتها
فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانـه
وأين المزكى اذا ما افتخر
تروح وتغدوا بنات الثرى
فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا
أمالك فيما مضى معتبر

ابن آدم

اذكر اثنين وانس اثنين ولا تأمن اثنين على اثنين .. أذكر الله
والموت ، وانس احسانك الى الناس واساءة الناس اليك واشكر الله
على الايمان والعافية ، ولا تأمن رجلاً على امرأة ولا تأمن امرأة على
سر واعلم أن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر وان العمر
مهما طال فلا بد من دخول القبر واعلم أن لك قرين يدخل
معك القبر وهو حي وتدخل معه وأنت ميت فان كان كريماً أكرمك

وان كان لثيما خذلك .. ما جعله صالحاً فانه عملك واذكر ساعة
ان ينقلب عنك الصديق والرفيق والأخ الشقيق والمال والولد والجلس
والآنيس وينادى عليك ما لك الملك وملك الملوك ويقول لك يا بن
ادم.

رجعوا وتركوك .. وفي التراب دفنوك ولو ظلوا معك ما نفعوك ولم
يبق لك الا أنا .. وأنا الحى الذى لا أموت.

سبحانك ربي

أنت الواحد فى ذاتك لا قسم لك ، الواحد فى صفاتك لا
شبيه لك ، الواحد فى أفعالك لا شريك لك خلقتنا فانت على كل
شئ قدير ورزقتنا فانت أكرم الأكرمين ، وتميتنا فانت الجبار ذو
القوة المتين — وتحيينا فانت أسرع الحاسبين وأعدل العادلين
وأحكم الحاكمين فواجب الخلق أن يوحّدوك وهل توحيدك الا
افرادك فى العبادة مع اعتقاد وحدتك ذاتاً وصفاتاً وافعالاً وهل
ينجينا من عقوبتك إلا تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل
بالأركان ، لقد أقمت الأدلة الناطقة بالحق على عظمتك
ووحدانيتك ونصبتها فى أرجاء الكون ناطقة بأنها مخلوقة بقدرتك.

قلت وقولك الحق في سورة النحل «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيبة إلا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

هذه أنواع من المخلوقات : اشتملت على فوائد عديدة لها جليل الأثر في حياة الانسان حتى أن القرآن الكريم لكثرة ما فيها من فوائد اشار الى بعضها ففيها دفء في أصوافها وأوبارها وأشعارها وفيها اللحوم التي تؤكل وفيها الركوب على ظهورها وحمل الأثقال التي لا طاقة لنا بحملها وفيها الفوائد المعنوية وهو ذلك الجمال في رواجها وسروحها وفيها الزينة اذا وقعت العين على رؤيتها واستمعت الأذن الى أصواتها من رغاء وشفاء .. وغير ذلك ولما كانت فوائدها لا تحصى ولا تستقصى فقد أجملها القرآن في قوله : (ومنافع) ولك بعد ذلك أن تقول في هذه العبارة ما شئت من ذكر تلك الفوائد مما يطول شرحه ويكثر ذكره .. سبحانه ربي.

عجز اللسان عن الثناء فانه
تتصاغر الأفكار دون مداه
من كان يعرف أنك الحق الذى
بهر العقول فحسبه وكفاه

أما الخيل والبغال والحمير فهذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده ليمن به عليهم وقد ذكرها الله مبينا أنها خلقت للركوب وتذليل الصعاب فى السفر كذلك قرنها بالزينة ففى نظرة العيش اليها بهاء وجلال وكال وجمال فاذا كانت الأنعام فيها جمال فى رواحها وهى عائدة من المروج الخضضر وفيها جمال حين تسرحون بها فى منظرها البديع وروعة خلقتها فان هذا الصنف من الدواب فيه زينة وغنى عن البيان، أما للخيل من منظر خلابة لاسيما وان الاسلام أوصى الاءاء أن يعلموا أولادهم السباحة والرماية وركوب الخيل وفى تعبير اخر أن يشبوا على الخيل وثبا. بعد ذلك أخبر العليم الخبير أن وسائل الانتقال ليست مقصورة على هذا النوع من الدواب انما سيكون هناك وسائل متعددة تفوق الخيال فسوف يقطع الانسان كبد الصحراء ولجج الماء ويركب متن الهواء فقال (ويخلق ما لا تعلمون).

ونحن نعيش اليوم فى عصر غزو الفضاء والمركبات التى قطعت فى ذلك الشأن شأواً بعيداً وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عظمة الخالق الذى علم الانسان ما لم يعلم ومهما بلغت سرعة الوسائل فى النقل فإنها تخجل حياءً أمام أى اية من آيات الله فى هذا الكون الفسيح وهذا الفضاء الرهيب ولنصغ إلى لسان العلم يحدثنا فيقول ان البعد بين الأرض والشمس يبلغ ٩٢٨٧,٠٠٠ ميل وهى مسافة كبيرة كما ترون ولكن هذا البعد الكبير ليس إلا جزءا صغيرا من أبعاد تفوقه كثيرا من الأرض والنجوم البعيدة ولكى يصور لنا هذه الأبعاد يلجأ الى طريقة أخرى هى طريقة سرعة الضوء.

فكثيراً ما نلجأ الى تصوير المسافات البعيدة بالسرعة فنقول مثلاً ان المسافة بين القاهرة والاسكندرية تبلغ ثلاث ساعات بالقطار وان المسافة بين المنزل والمحطة تبلغ ساعة بالسيارة والسرعة التى سنتخذها وحدة فى تقدير ابعاد الفضاء ليست بالسيارة ولا بالقطار ولا بالطيارة والصواريخ بل هى سرعة الضوء وهى أكثر سرعة معروفة فى العالم وسرعة الضوء هى أيضاً سرعة اللاسلكى ولكى نوضح عظمة هذه السرعة أوجه النظر بمقارنتها بسرعة قطار سريع يقطع فى

الساعة ٦٠ ميلا أى بسرعة ميل واحد فى الدقيقة أو جزء من ستين جزء من الميل فى الثانية.

أما الضوء فلا يقطع كسرا من الميل فى الثانية بل يقطع ١٨٦,٠٠٠ ميل فى الثانية أى ما يعادل ٣٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية وهى سرعة عظيمة بلا شك.

وهناك حقيقة أخرى تبين عظمة هذه السرعة وهى أن المسافة بين الشمس والأرض ٩٢,٨٧٠,٠٠٠ ميل واشعة الشمس تصل الى الأرض بسرعة الضوء العظيمة فتقطع المسافة بينها فى ٨ دقائق $\frac{1}{9}$ ثانية.

ولو حاول الانسان أن يقطع هذه المسافة بطائرة نفائة سرعتها ٦٠٠ ميل فى الساعة لاستغرق قطعها نحو ١٧ سنة و٦ أشهر وذلك بشرط أن تستمر سرعتها هذه بدون توقف ليل نهار وأين هى الطائرة التى تسير سنوات دون توقف حتى للتزود بالوقود فما أعظم سرعة الضوء وما أبلغ تلك السرعة الضوئية الكونية التى تدل على قدرة الله عز وجل وما أصدق الله تعالى وما أجل شأنه عندما أخبرنا بما سيخلقه مما لا نعلمه وقد خلق من آلات وأدوات الانتقال وما سيخلق فيما سياتى مما سبق فى علمه وما يجعلنا نلهج بالشاء

والتوحيد في محراب قوله تعالى «ويخلق ما لا تعلمون».

السبيل والهداية

بعدما قص علينا القرآن الكريم بأسلوبه الحكيم قصة الثروة الحيوانية في سورة النحل وبين فوائدهم الأنعام من دفع ومنافع وأضاف الى تلك الفوائد ما فيها من الجمال حين تريحون وحين تسرحون وقدم الراحة على السروح لأن الأنعام وهي عائدة تكون اعظم جمالا حيث تكون قد رعت في المروج الخضراء وعادت وضروعها مليئة بالالبان فناسب ذلك أن يقدم (تريحون على تسرحون) ثم ذكر سبحانه وتعالى الدواب وبين أن من فوائدها الركوب والانتقال ثم اضاف الى ذلك ما فيها من زينة في الخيل المسومة وانما اضاف الجمال الى الأنعام واطاف الزينة الى الدواب لأن الجمال أعم من الزينة إذ يشمل ما تقع عليه العين من منظر بديع وما يقع عليه الذوق من مأكلة هنية من لحومها أما الزينة فانها مقصورة على مرأى العين ، اذ الدواب لا تؤكل ولما ذكر سبحانه ان فيما انعم الله عليه من عباده من الثروة الحيوانية ما

يتخذ وسيلة الى الانتقال المحسوس من بلد إلى بلد ومن مكان الى اخر مناسب ذلك ان يذكر عقب ذلك وسيلة الانتقال المعنوى وهو السير على طريق الله، قال سبحانه «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين» ومعنى ذلك أن مشيئة الله جل شأنه قد اقتضت أن يبين سبحانه لعباده السبيل القصد والطريق المستقيم الذى يؤدي الى رضاه وطاعته أى وحق على الله بمقتضى لطفه أن يبين لعباده سبيله المستقيم وأن يدعوهم اليه «يريد الله ليعلم لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم» ولطف الله يتبين فى ثلاثة أشياء.

— أولا : أنه وهب العباد عقلا يميزون به بين ما يضر وبين ما ينفع.

— ثانيا : أنه سبحانه أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

— ثالثا : أنه أنزل كتباً لمن لم يدرك زمان الأنبياء ولم أدرك زمنهم «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد».

وبعد ما بين السبيل دعا عباده فقال «وان هذا صراطا مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون» وبين أن من السبيل سبيلا جائرة منحرفة عن طريق الجادة فقال سبحانه (ومنها جائر) وهى التى نهى عنها جل شأنه فى قوله «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» وسبيل الله واحدة لأنها سبيل الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال وسبل الضلال كثيرة ولذا جمعها وأفرد سبيل الهداية قال سبحانه «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور».

فأنت هنا ترى أن الظلمات قد جاءت بصيغة الجمع لعقد أسبابها ووسائل الضلال فيها أما النور فقد جاء بصيغة الافراد لأنه طريق واحد الى الله الواحد والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تحيلو ميلا عظيماً ، ثم ذكر سبحانه بعد ذلك أن مشيئة لا يعجزها شيء ولا يقف أمامها عائق فقال سبحانه (ولو شاء لهداكم أجمعين).

أى لو شاء هدايتكم أجمعين كما قال سبحانه «ولو شاء ربك لأمّن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» إذن فماذا حدث؟

لقد اقتضت حكمة الله وحجته البالغة ان يكون هناك ثواب وعقاب، ثواب للطائع وعقاب للمسيء ويُن نور هذا وميزان ذاك أن يكون هناك اختيار للعبد وكسب في الأفعال فأمره الله تعالى ببيان السبيل وقال «إنا هديناه السبيل أما شاكرا وأما كفورا» بعد ما قال «فجعلناه سميعاً بصيراً» وقال سبحانه وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر بعد ما أمره سبحانه بالقوى الفاعلة فقال «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين».

وقال عظمت حكمته «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» بعد ما أرسل له رسولا وأنزل عليه كتابا ووهبه عقلا كالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ووهبه عقلا كالشمس وسنة كالقمر فمن مشى فيهما عاش فى ضوء النهار إذا جلاها ومن حاد عن هديهما تخبط فى ظلمة الليل اذا يغشاها ثم عقب بعد ذلك النفس بقوله «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» فلا يقولن قائل فما تقول فى قوله تعالى «يضل به كثيرا ويهدى به كثيراً لأن منطلق الحق يقول ان الاضلال والهداية مبنيان على علم الله تعالى واراادته وقدرته بالنسبة لما يعلمه فى العبد قال تعالى «وما يضل به إلا الفاسقين». وقال جل شأنه فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا

يهدى القوم الفاسقين وقال تبارك اسمه «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، وقال عظمت حكمته «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبع الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون». فهل يلام القضاء والقدر ونترك للنفس هواها ترفع فى ظلمات الشقاء «ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيماً.

— يا باغى الخير أبشر —

هكذا ينادى مناد من قبل الله تبارك وتعالى إذا جاء رمضان واحتفل به الملائكة والعلم العلوى واستقبله أهل السماوات بما يليق به من كرامه وحفاوة ففتحت ابواب السماء وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين نادى مناد من قبل الله يا باغى الخير أبشر يا باغى الشر أقصر.

نعم انه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.
 فرمضان خمسة أحرف، الراء: رمضان رحمة والميم مغفرة والضاد
 ضمان للجنة والألف أمان من النار والنون نور من الرحيم الغفار
 وإذا رجع العبد العاصي لله سطع نور من السماء والأرض ونادى
 مناد من قبل الله تعالى أيتها الخلائق هئتوا فلانا فقد اصطلاح مع
 الله.

يا نفس تولى فإن الموت قد حانا
 واعصى الهوى فاهوى مازال فتانا
 في كل يوم لنا ميت نشيعه
 نحى بمصرعه آثار موتانا
 يا نفس مالى وللأموال اتركها
 خلفى واخرج من دنيائى عريانا

نعم !

ان رمضان شهر الصلح مع الله يذكر الناس وينبه الغافل ويأخذ
 بيد المتعسر ويهدى السالك إلى صراط الله المستقيم وينادى على كل
 شادر بلسان الحال اما أن للقلوب ان تخشع. أما أن للأعين أن

ندمع. أما آن للأذان أن تسمع. أما آن للأجساد أن تسجد وان
نركع. أما آن للذين يجاهرون الله بالأفطار في رمضان أن يستحوا
فمن يسمع ويرى ديب أرجل الثملة السمراء فوق الصخرة الصماء
في الليلة الظلماء .. يا أخا الأسلام قم سلسل الدموع حزنا على
هذا الحياء الضائع ومزق الضلوع كمدا على هذا الفساد الشائع.
ان الله تعالى ينادى في علياء وكبراء ويقول «يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
أياما معدودات».

اتعلم يا أخى ما جزاء من أفطر في رمضان بغير عذر، اسمع الى
سيد الخلق وحبيب الحق يقولها بصراحة واضحة لا موارد فيه ولا
غموض.

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال «عزى
الاسلام وقواعد الدين ثلاثه عليهم أسس الاسلام من ترك واحدة
منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة
المكتوبة وصوم رمضان» رواه ابو يعلى والديلمى وصححه الذهب.

وعن ابي هريرة ان النبى ﷺ قال :
«من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله له ، لم

يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه» رواه ابو داود وابن ماجه
والترمذى.

وقال البخارى : ويذكر عن ابى هريره رفعه، من أفطر يوما من
رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه، وبه
قال ابن مسعود.

وقال الذهبي : وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا
مرض انه شر من الزانى ومدمن الخمر بل يشكون فى اسلامه
ويظنون به الزندقه والانحلال.

وقال العلامة ابن حزم: ذنبان لم أر أعظم منهما بعد الشرك بالله
رجل أخر الصلاة عامدا حتى خرج وقتها ورجل أفطر يوما من
رمضان بغير عذر».

أرأيت يا أخا الإسلام كيف كان الوعيد للذين اتخذوا آيات الله
هزوا. أما أن لك ان تقف مستمعا باذن قلبك الى ما قاله رب العزة
فى هذا الحديث الجليل.

ومن أراد رضای أردت ما يريد ومن ترك من اجلى اعطيته فوق
المزيد.

لقد جاء رمضان فاقبل على صيامه بنفس راضية وطهر القلب

مما تعلق به من ظلمات الماده وناج ربك بما ناجاه به نبيه ومصطفاه
 ﷺ الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل
 شيء خالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقران اعوذ بك من
 شر كل دابه انت أخذ بناصيتها انت الأول فليس قبلك شيء وأنت
 الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت
 الباطن فليس دونك شيء أقض عني الدين وأغنني من الفقر.
 إن الله تعالى يدعوك ان تكون ضيفا على مائدة كرمه وان تكون
 رباني القلب لينحك هذه الجوائز الغوالي اسمع معي الى هذا الحديث
 القدسي الجليل.

من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء
 احب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى
 احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
 ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقلبه الذي يعي به ولسانه
 الذي يتكلم به ولئن سألتني لآعطيته ولئن استعاذ بي لأعيذنه ولئن
 استنصرني لأنصرنه ويكون جاري في الجنة مع النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين.

الا يكفيك هذا الجار الكريم نسأل الله ان يوفقنا بصيام هذا الشهر وقيام ليله.

• فضل الصيام وآدابه :

للصيام عند الله فضل عظيم وبذا يكون الصيام مدرسة اخلاقية تهذب السلوك وتقوم الغرائز ويكفى في ذلك ان الله تعالى جعل الغاية منه والحكمة تقوى الله قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون». والتقوى هي السلاح الأقوى ومحلها الصدر كما اشار النبي ﷺ الى صدره وقال التقوى هاهنا وكما فسرها الامام على كرم الله وجهه في قوله التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ولو لم يكن هناك الا هذه المساوي لكفى بها اساتذة في علم الأخلاق وفي مدرسة الصيام الجوع نهر تسبح فيه الملائكة والشعب بحر تجرى فيه الشياطين لما تمثل ابليس لنبي الله يحيى فسأله نبي الله: هل أجد عندك ما تغويني به يا عدو الله؟ قال ابليس: لا إلا أن تأكل كثيرا فتشرب كثيرا فتنام عن الصلاة.

قال له نبي الله يحيى: لا أشبع بعد اليوم.
 قال له أبلّيس: وأنا لا أنصح احداً بعدك أبداً.
 إن الصيام عبادة سرية لا يطلع عليها الا من يعلم خائنة الأعين
 وما تخفى الصدور ومن ثم فقد شرفه الله بنسبته اليه من بين
 العادات فى حديث جامع قال فيه الصادق المعصوم رواية عن رب
 العزة «كل عمل ابن ادم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزي به» والصيام
 جنة فإذا كان يوم صوم احكمم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد
 أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف
 فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان
 يفرحهما إذا افطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه رواه
 البخارى واللفظ له ومسلم.

وفى رواية للبخارى: يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجل
 الصيام لى وأنا اجزي به والحسنة بعشر امثالها.
 وقد تمتلىء النفس المؤمنة رضا وطمأنينة عندما تقف امام هذا
 الحديث الذى وضع فيه ثواب الصائمين عند الله من بين فضائل
 العبادات والأعمال.

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
 الاعمال عند الله عز وجل سبع عملان موجبان وعملان بأمثالهما
 وعمل بعشر أمثاله وعمل بسبعمئة وعمل لا يعلم ثواب عامله الا
 الله عز وجل فأما الموجبان فمن لقي الله يعبد مخلصا لا يشرك به
 شيئا وجبت له الجنة ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار ومن
 عمل سيئة جزى بها ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى
 مثلها ومن عمل حسنة جزى عشرا ومن أنفق ماله في سبيل الله
 ضعفت له نفقته، الدرهم بسبعمئة والدينار بسبعمئة والصيام الله
 عز وجل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل رواه الطبراني في
 الأوسط والبيهقي
 وللصوم آداب يستحب للصائم مراعاتها.

١ - السحور :

وقد اجمعت الائمة على استحبابه وانه لا اثم على من تركه فعن
 انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: تسحروا فإن في
 السحور بركة رواه البخارى ومسلم.
 عن المقداد بن معديكرب عن النبي ﷺ قال عليكم بهذا
 السحور فإنه هو الغذاء المبارك رواه النسائي بسند جيد (وسبب

البركة ان يقوى الصائم وينشطه ويهون عليه الصيام).
ويتحقق السحور بكثير الطعام وقليله ولو بجرعة ماء.
فعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:
«السحور بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم ماء فإن الله
وملائكته يصلون على المتسحرين» رواه احمد.
ووقت السحور من منتصف الليل الى طلوع الفجر والمستحب
تأخيرته.

فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال تسحرنا مع رسول الله
ﷺ ثم قمنا الى الصلاة. قلت كم كان قدر ما بينهما؟.
قال خمسين آية رواه البخارى ومسلم.
وعن عمرو بن ميمون قال كان اصحاب محمد ﷺ يعمل
الناس افطاراً وأبطأهم سحوراً رواه البيهقى.
وعن ابي ذر الغفارى رضى الله عنه مرفوعاً «لا تزال امتى بخير
واعجلوا الفطر واخروا السحور».

٢ — تعجيل الفطر :

ويستحب للصائم أن يعجل الفطر متى تحقق غروب الشمس.

فعن سهل بن سعد ان النبي ﷺ قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » رواه البخارى ومسلم.

وينبغى ان يكون الفطر على رطبات وترا فإن لم يجد فعلى الماء. فعن انس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى فإن لم تكن فعلى تمرات فإن لم تكن حسا حسوات من ماء. رواه الترمذى.

وعن سلمان بن عامر ان النبي ﷺ قال اذا كان احدكم صائما فليفطر على التمر فإن لم يجد فعلى الماء فإن الماء طهور رواه احمد والترمذى.

٣ — الدعاء عند الصيام وفي الصيام

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد وكان عبد الله إذا أفطر يقول اللهم انى أسالك برحمتك التى وسعت كل شىء ان تغفر لى.

وروى الترمذى بسند حسن ان ﷺ قال : « ثلاث لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل والمظلوم ».

٤ — والصيام عبادة من أفضل القربات شرعه الله تعالى ليهذب

النفس ويعودها الخير فينبغى أن يتحفظ الصائم من الاعمال التي
تخدش صومه حتى ينتفع بالصيام وتحصل له التقوى التي ذكرها الله
في قوله «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وليس الصيام مجرد امساك عن الأكل والشرب وإنما هو امساك
عن الأكل والشرب وسائر ما نهى الله عنه.

فعن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال «ليس الصيام من الأكل
والشرب وإنما الضيـام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل
عليك فقل إني صائم إني صائم». رواه ابن خزيمة وابن حسان
والحاكم.

٥ - السواك

يستحب للصائم ان يتسوك اثناء الصيام ولا فرق بين أول النهار
وآخره.

قال الترمذى ولم ير الشافعى بالسواك اول النهار وآخره بأسا.
وكان النبى ﷺ يتسوك وهو صائم.

٦ — الجود ومدارسة القرآن.

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ اجود الناس وكان اجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيتدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ اجود بالخير من الريح المرسلة.

٧ — الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان.

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر وفي روايه لمسلم كان يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره. وروى الترمذى وصححه عن على رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر ويرفع المئزر». ولله في العشر الأواخر ليلة

لقد عظمت قدرا كما ملئت خيرا

فطوبى لقوم ادركوها وشاهدوا

تنزل املاك السما آيه كبرى

الله تقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا
واجعلنا من عتقائك من النار ... ومن المقبولين إليك
يا رب العالمين

• وكان وعد ربي حقا

لما هاجر النبي ﷺ من مكة وبينما هو في طريقه الى دار الهجرة
توجه الى مكة يلقي عليها نظرات الوداع وقال بلسان الحنين والله
انك لخير ارض الله واحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومك
اخرجوني منك ما خرجت.

هنالك هبط سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بقول الله
جل شأنه.

«ان الذى فرض عليه القرآن لرادك الى معاد» قال جماعة من
المفسرين المراد بقوله تعالى الى معاد أى الى مكة أو الى مولدك
والمؤدى واحد وقد صدق الله وعده وفى شهر رمضان المبارك وفي
العام الثامن من الهجرة كان الوعد الحق فبعدهما وقع النبي ﷺ
هدنة الحديبية وعاد الى المدينة مرفوع الرأس موفور الكرامه كان
الوحى يتقاطر عليه نورا. ورحمة غضا ندبا «انا فتحنا لك فتحا
مبينا».

ففى رمضان كان الفتح العظيم ولم يكن مقصورا على الفتح وحده بل كان فتحا ومغفرة واتماما للنعمة وهداية الى الصراط المستقيم ونصرا عزيزاً «انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزاً».

هذا هو الفضل الإلهى على مبعوث العناية اما من معه من المؤمنين فقد كان لهم من الله منحة لا تسامى انها نعمة السكينة التى تؤدى إلى زيادة الإيمان وكفى بزيادة الايمان فضلا».

«هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما».

هذا فى الدنيا اما فى الآخرة ففضل واکرام وجنات «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ولا يكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً».

هذا عن أحبائه أما عن أعدائه فيقول عنهم الحكيم العليم «ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم

وساءت مصيراً».

ولما كانت هذه الصورة فتحاً مبيناً ونصراً عزيزاً فإن النصر
يقتضى الجنود ولا بد للحق من قوى تسانده، قال تعالى بعد ذلك
«ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً» أما أنت يا
محمد فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

أنت الذي قاد الجيوش محطماً
عهد الضلال وأدب السفهاء
وسموت بالبشر الذين تعلموا
سنن الشريعة فارتقوا سعداء
سعدت بطلعتك السماوات العلا
والأرض صارت جنة خضراء

فما قصة الفتح؟ إنها درس عندما يحدثنا التاريخ عنه
يجئوا على ركبته وعندما تتكلم الدنيا عن رسول الله تتمرغ تحت
قدميه.

وها هي ذى حقائق التاريخ تحدثنا بلسان اليقين ومنطق الحق
المين ليكون فيها دروس للمسلمين في هذه الآونة الحاسمة.
لقد أتاحت هذنه الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود
عسكرياً في المدينة وخارجها. كما لهم السيطرة على القبائل في شمال
المدينة حتى حدود العراق والشام وأنتشر الاسلام بين القبائل العربية
كلها فأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أى قوة في بلاد العرب.

ولم يبق أمام المسلمين إلا فتح مكة تلك المدينة المقدسة التي
انتشر الإسلام فيها أيضاً وما أسهل فتحها على المسلمين لولا عهد
الحديبية الذى يحرص على الوفاء به الرسول ﷺ.

ولقد أدى انتشار الإسلام بين قسم كبير من القبائل ومن
ضمنها قريش وبقاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها
واستحاله جمع هذه الكلمة على حرب المسلمين. ولم يبق في قريش
زعيم مسيطر يستطيع توجيهها إلى ما يريد حين يريد: المسلمون فيها
لا يخضعون إلا لأوامر الإسلام والمشركون فيها بين متطرف يدعو
للحرب مهما تكن نتائجها ومعتدل يعتبر الحرب كارثة محققة
لقريش.

• إعلان الحرب :

سار عمر بن سالم الخزاعي بالتوجه إلى المدينة حاملاً أخبار
نقض قريش وبنى بكر لعهد الحديبية فلما وصلها قصد المسجد
وقص على الرسول ﷺ ما أصاب خزاعه من بنى بكر وقريش في
مكة وخارجها فأجابه الرسول ﷺ «نصرت يا عمرو بن سالم».
وخرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعه حتى قدموا المدينة
فأخبروا النبي ﷺ بما أصابهم.

فعمم الرسول ﷺ على فتح مكة ولقد قرروا معتدلو قريش
وعقلاؤهم ماذا يعنى انتهاء الهدنة بينهم وبين المسلمين فقرروا إيفاد
أبى سفيان إلى المدينة للتشبت بثبيت العهد وإطالة مدته.

ولما وصل أبو سفيان (عسفان) في طريقة إلى المدينة رأى بديل
بن ورقاء وأصحابه عائددين من المدينة فخاف أن يكونوا قد جاءوا
محمد رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث مما يزيد مهمته التي
جاء من أجلها تعقيدا ان بديلا نعنى مقابلته النبي ﷺ ولكن أبا
سفيان عرف من فضلات راحلته التي فيها نوى التمر أنه كان في

المدينة ووصل أبو سفيان الى المدينة فقصده دار ابنته أم حبيبته زوج الرسول ﷺ وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه وقال لها يا بنيه ما أدري أرغبت لي عن هذا الفراش أم رغبت به عني «قالت بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس والله لا يجلس عدو الله على فراش حبيب الله. فقال أبو سفيان والله لقد أصابك بعدى شر. فأنظر إلى قوة اليقين ومنطق الحق المبين وثبات العقيدة والحفاظ على المبدأ .. إنه الإسلام متمثلاً في أم المؤمنين رمله بنت أبي سفيان فماذا بعد هذا؟

لا يخلف الله وعده :

ما أعظم الموفين بعهد الله قال جل شأنه انما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. وما اشقى الناقضين العهد الناكثين الوعد قال جل شأنه «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار». ومن ثم فقد قيل ثلاثا إذا كن لك كن عليك البغي والمكر والنكث.

قال تعالى «يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم».
وقال سبحانه «ولا يحق المكر السىء الا باهله».
وقال «فمن نكث فانما ينكث على نفسه».

نقضت قریش معاهدة الحديبية وهى الهدنة التى ابرمتها مع
رسول الله ﷺ وعزم الرسول على فتح مكة وتراحت الانباء الى
قریش بما جعل زعيمها ابا سفيان يتوجه الى المدينة يستشفع لدى
رسول الله ﷺ فماذا حدث؟

قالت حقائق التاريخ.

ووصل ابو سفيان الى المدينة فقصده دار ابنته أم حبيبة زوج
الرسول ﷺ وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه فقال لها يا بنيه
ما أدرى ارغبت لى عن الفراش أم رغبت به عنى.
قالت : بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس.

قال ابو سفيان : والله لقد اصابك بعدى شر».
واستشفع ابو سفيان باى بكر ليكلم الرسول ﷺ فأبى
واستشفع بعمر بن الخطاب فأغلظه فى الرد وقال آنا اشفع لكم
عند رسول الله ﷺ والله لو لم اجد الا النذر لجاهدتكم به.

ودخل ابو سفيان على بن ابي طالب وعنده فاطمة فرد عليه
عليّ قائلاً:

والله يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع
أن نكلمه فيه.

واستشفع ابو سفيان بفاطمه بنت النبي ﷺ أن يحبر ابنها
الحسن بين الناس فقالت : يا يحبر احد على رسول الله ﷺ.
فاستصح ابو سفيان عليا بعد أن اشتدت عليه الامور فنصحته
ان يعود من حيث أتى فقفل ابو سفيان عائدا الى قريش ليخبرهم
بما لقي من صمود ولم يبق هناك شك في اعلان الحرب.

أمر الرسول ﷺ اصحابه بانجاز استعداداتهم للحركة ايضا كما
امر أهله ان يجهزوه ولكنه لم يخبر احداً بنواياه الحقيقية ولا باتجاه
حركته بل اخفى هذه النوايا حتى لأقرب الناس اليه ثم ارسل سرية
الى قتادة الانصاري الى بطن اصم ليزيد من اسدال الستال الكثيف
على نواياه الحقيقية.

دخل ابو بكر على ابنته عائشه زوج النبي ﷺ وهى تهىء
جهاز رسول الله ﷺ فقال لها أى بنيه أأمركم رسول الله ﷺ أن

تجهزوه .. قالت نعم .. فتجهز .. قال فأين تريته يريد؟ قالت:
والله لا أدري.

ولما اقترب موعد الحركة صرح الرسول ﷺ بأنه سائر الى مكة
وبث عيونه ليحول دون وصول ابناء حركته الى قريش ولكن حاطب
بن أبى بلتعنه كتب رسالة اعطاها امرأة متوجهة إلى مكة يخبرهم
فيها بنيات المسلمين فعلم الرسول ﷺ بهذه الرسالة وبعث على بن
ابى طالب والزبير بن العوام ليدركا المرأة ويأخذوا تلك الرسالة منها
فأدركاها وأخذوا الرسالة التي كانت معها.

ودعا رسول الله ﷺ حاطب يسأله ما حمله على ذلك قال: يا
رسول الله اما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت
ولكن كنت امرا ليس له فى القوم من اهل ولا عشيرة وكان لى بين
اظهرهم ولد واهل فصانعتهم عليهم؛

وقال عمر بن الخطاب «يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه
فإن الرجل قد نافق.

قال الرسول ﷺ اما انه قد صدقكم وما يدريك لعل الله قد

اطلع على من شهد بداراً .. فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
لقد شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد فعفا عنه الرسول ﷺ
وأمر المسلمين ان يذكروه بافضل ما فيه.

ومعاذ الله أن يكون لموقف حاطب أثر سىء في قلوب المسلمين
فان الله تعالى اطلع على قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير
قلوب العباد فاختره لرسالته.

ثم اطلع على قلوب العباد بعده فوجد قلوب اصحابه خير قلوب
العباد فاخترهم لصحبته لكن موقف حاطب درس لابد أن يستفيد
منه المسلمون جميعا وهل كانت غزوة أحد الا درسا دفع المسلمون
ثمنه غاليا ومن ثم فقد أبدى حاطب عذره وبين سريرة نفسه وقبل
الرسول منه العذر لماضيه المشرف ومواقفه المجيدة فلكل عالم هفوة
ولكل جواد كبوه والمعصوم هو رسول الله ﷺ ولقد بين الله هذا
الدرس حتى يكون فيه العبرة للاجيال جميعا.

قال تعالى في هذا الدرس:

«يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم
بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون

اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل ان يشفعوكم يكونوا لكم أعداء ويسطوا اليكم ايدهم
والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير.

النصر الميسر

تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر
على ما انعمت به علينا وأوليت نستغفرك اللهم من كل ذنب ونوب
اليك.

احمدك على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك انت
الذى مننت على المسلمين بقولك (ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوى عزيز) فانت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق.
لقد استعد الرسول ﷺ لفتح مكة فكان مثال القائد الملتزم
بأصول الأخلاق في الحرب كما كان في السلم.

يا رسول الله :

يا من له الاخلاق ما تهوى العلا

منها وما يتعشق الكبراء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل
 يغرى بهن ويولع الكرماء
 الحرب فى حق لديك شريعة
 ومن السموم الناقعات دواء

— فكيف سارت الأحداث الى مكة؟

كان المسلمون (عشرة آلاف رجل) بقيادة الرسول ﷺ وكانت قريش وبنو بكر كل قبيلة لها قائد خاص ترك المسلمون المدينة فى (رمضان) من السنة الثانية للهجرة قاصدين فتح مكة وكان جيش المسلمين مؤلفا من الأنصار والمهاجرين وسليم ومزينة وغطفان وغفار وأسلم وطوائف من قيس وأسد وتميم وغيرهم من القبائل الأخرى فى عدد وعدد لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل وكلما تقدم الجيش نحو هدفه ازداد عدده بانضمام مسلمى القبائل التى تسكن على جانبى الطريق إليه ..

ومع كثافة هذا الجيش وقوته وأهميته فقد بقى سر حركته مكتوماً لا تعرف قريش عنه شيئاً إذ مع إعتقاد قريش بأن محمداً ﷺ فى حل من مهاجمتها ولكن لم تكن تعرف متى وأين وكيف سيجرى

المهجوم المتوقع ولشعور قريش بالخطر المحقق بها أسرع كثير من رجاها بالخروج إلى المسلمين لإعلان إسلامهم فصادف بعض هؤلاء ومنهم (العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ) جيش المسلمين في طريقة إلى مكة.

وصل الجيش مساء موضع (مر الظهران) على مسافة أربع فراسخ من مكة فعسكر هناك وأمر الرسول ﷺ أن يوقد كل مسلم ناراً حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته فيؤثر ذلك على معنوياتها وتستسلم للمسلمين دون قتال وبذلك يؤمن الرسول ﷺ هدفه في دخول مكة دون إراقة الدماء ..

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
لا يستهين بعفوك الجاهلاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

وأوقد عشرة آلاف مسلم نيرانهم ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد فأسرع (ابو سفيان ابن حرب) وبديل بن ورقاء وحكيم بن خزام بالخروج باتجاه النار حتى يعرفوا مصدرها ونوايا أصحابها وأهدأهم فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين قال أبو سفيان

لصاحبه بديل : «ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً» فرد عليه بديل بن ورقاء: «هذه والله خزاعة حمشتها الحرب» فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الرد فقال : «خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها» وكان العباس عم النبي ﷺ قد خرج من معسكر المسلمين راكبا بغلة الرسول ﷺ ليخبر قريشاً بالجيش الضخم الذى جاء لقتالها والذى لا قبل لها به حتى يؤثر على معنوياتها ويضطر للتسليم دون قتال فيحقق بذلك دمائها ويؤمن لها صلحاً شريفاً ويخلصها من معركة فاشلة معروفة النتائج سلفاً لا يمكنه أن تثيرها غير العصبية الجاهلية فسمع وهو فى طريقه حديث أبى سفيان فناده وأخبره بوصول جيش المسلمين ونصحه بأن يلجأ إلى الرسول ﷺ حتى ينظر فى أمره قبل أن يدخل الجيش مكة صباح غد فيحقق به ويقومه العقاب ..

أردف العباس ابا سفيان على بغلة الرسول ﷺ وتوجهوا نحو معسكر المسلمين فلما وصل العباس المعسكر ودخله وأخذ يمر بنيران الجيش فى طريقة الى خيمة الرسول ﷺ رآه المسلمون فلم ينكروا شيئاً لأنهم عرفوا العباس فلما مر العباس بنار (عمر بن الخطاب) عرف ابو سفيان وادرك ابن العباس يريد أن يجيره فاسرع

عمر الى خيمة النبي ﷺ وطلب منه أن يأمره بضرب عنق أى سفيان ولكن الرسول ﷺ طلب من عمه أن يأخذ أبا سفيان الى خيمته ويحضره اليه فى الصباح فلما كان الصباح وجىء بأى سفيان إلى النبي ﷺ ليحقن دمه ..

فقال العباس: يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً .

قال الرسول ﷺ : نعم (من دخل دار أى سفيان فهو آمن ومن اغلق باباه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن).

يا رسول الله من اعطاك الحكمة وفصل الخطاب فقد ملأت العالم حكمة وكالا وغرست فيه خلقا وادبا وجلالا بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة ومحيت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ورسولا عن قومه فلا حرمنا الله اجرک ولا فتننا بعدک.

● الله أكبر .. نصر عبده

«ان ينصرکم الله فلا غالب لکم وان یخذلکم فمن ذا الذی ینصرکم من بعده وعلى الله فلیتوکل المؤمنون».

النصر نعمة كبرى من نعم الله تعالى على المؤمنين والشيث بعد النصر لا يقل في الفضل عن نعمة النصر ومن ثم قال تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فقد جاء الشيث بعد النصر لا قبله لأن النصر قد يورث الغرور في النفس والغرور مقبرة النجاح اما الشيث بعد النصر فيورث القوة والحزم والاتزان وكلها عوامل تؤدي من نصر الى نصر وتحيط الامة بأسوار منيعة لا يستطيع الفشل أن يقتحمها.

ولما كنا بصدد الحديث عن الفتح الاعظم فقد رأى الرسول ﷺ بتوفيق الله تعالى أن يلحق قريشا درسا قبل أن يدخل الى مكة حتى لا تسول لأحدهم نفسه ان يعتدى على حصون المسلمين الحصينة فأمر الجيش أن يستعرض كتائب التوحيد امام الرؤوس العنيدة التي طالما ناصبت الاسلام العداء.

نعم اراد الرسول بثاقب فكره وصائب رأيه وعميق فهمه ونفاذ بصيرته ان يستوثق من سير الأمور كما يجب بعيدا عن وقوع الحرب فاوصى العباس باحتجاز الى سفيان في مضيق الوادي عند مدخل الجبل الى مكة حتى يستعرض الجيش الزاحف كله فلا تبقى في نفسه اية نكره للمقاومة.

— قال العباس : خرجت بالى سفیان حتى حبسته بمضيق الوادى
حيث امرنى رسول الله ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة.
— قال : يا عباس من هؤلاء.

— فأقول : سليم.

— فيقول : مالى ولسليم.

ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء .. فأقول: مزينة
فيقول: مالى ولمزينة حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة الا وسألنى
عنها فإذا أخبرته قال مالى ولبنى فلان.

حتى مر الرسول ﷺ فى كتيبة الخضراء وفيها المهاجرون
والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا
عباس من هؤلاء.

— قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والانصار.

— قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفصل لقد
اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما.

— قال العباس يا ابا سفیان انها النبوة .. قال نعم عند ذاك قال
العباس لائى سفیان : النجاء الى قومك فاسرع ابو سفیان الى
مكة.

وقبل دخول المسلمين مكة دخل ابو سفيان مبهوراً مدعوراً وهو يحس ان من ورائه اعصارا إذا انطلق اجتاح قريشا وقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده ابدا.

ورأى أهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا قرارا حاسما ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية فاجتمعوا الى ساداتهم ينتظرون الرأى الآخر فإذا بصوت الى سفيان ينطلق بينهم مجلجلا حازما.

يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار الى سفيان فهو آمن.

— دهشت امرأة الى سفيان هند بنت عقه التي كانت تشايح المتطرفين من مشركى قريش فى عداوتهم للمسلمين وهى تسمع من زوجها هذا الكلام فوثبت اليه واخذت بشاربه تلويه وصاحت : — اقتلوا الحميت الدسم الاحمى أى هذا الزق المنتفخ قبح من طليعة قوم أى الذى يتقدمهم أو يحرسهم.

— ولم يكثر ابو سفيان لسباب امرأته فعاود تحذيره «ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به فمن دخل دار الى سفيان فهو آمن».

— قالت قريش : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك.
— قال : ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن.
آمن.

واصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين، اختفى الرجال وراء الأبواب المؤسدة واجتمع بعضهم في المسجد الحرام وبقي المتطرفون مصرين على القتال.

وكان مجمل خطة الرسول ﷺ لدخول مكة ما يلي :

الميسرة : بقيادة الزبير بن العوام واجبها دخول مكة من شمالها.
الميمنة : بقيادة خالد بن الوليد واجبها دخول مكة من جنوبها.
قوات الانصار : بقيادة سعد بن ابى عبادة واجبها دخول مكة من الغرب.

قوات المهاجرين : بقيادة ابى عبيدة بن الجراح واجبها دخول مكة من الشمال الغربى من اتجاه جبل هند.

كانت اوامر الرسول ﷺ لقواده بالآيقاتلوا إلا إذا اضطروا إلى القتال حتى يتم فتح مكة سلميا وبدون قتال وقبل الشروع في دخول مكة سمع بعض المسلمين سعد بن عبادة يقول اليوم يوم

الملحمة اليوم تستحل الحرمه فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال:
 بل اليوم يوم الرحمة ، لذلك رأى ﷺ حين بلغه ما قال سعد أن
 يأخذ الراية منه وأن يدفعها الى ابنه قيس بن سعد فقد كان قيس
 اهدأ أعصابا من ابيه وأكثر سيطرة على نفسه حتى يحول دون
 اندفاع سعد لاثارة الحرب.

دخلت قوات المسلمين مكة فلم تلق مقاومة إلا جيش خالد
 بن الوليد فقد تجمع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بنى بكر
 في منطقة الخندقة فلما وصلتها قطاعات خالد امطروها بوابل من
 نبالهم لكن خالدا لم يلبث ان مرقهم ولم يقتل من رجاله الا اثنان
 ضلا طريقهما وانفصلا عنه ولم يلبث صفوان ابن اميه وسهيل بن
 عمرو وعكرمه بن ابى جهل حين رأوا الدائرة تدور عليهم ان تركوا
 مواضعهم في الخندقة وفروا مع قواتهم واستسلمت المدينة المقدسة
 للمسلمين وفتحت ابوابها لهم.

الله اكبر .. ان دين محمد وكتابه اقوى واقوم قيلا ، الحمد لله
 .. صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

• إلى مكة المكرمة

تباركت ربنا وتعاليت حيث قلت «ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنه الله التي قد خلت من قبل
ولن تجد سنة الله تبديلا.

وهكذا سارت احداث الفتح العظيم بقيادة الرسول القائد صلوات الله عليه
فقد عسكر صلوات الله عليه في منطقة جبل هند بعد أن سيطرت قواته على
جميع مداخل مكة فلا استراحت وتجمعت ارتاله نهض والمهاجرون
والانصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد الحرام فأقبل
الى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت العتيق وحول البيت
وكان في الكعبة ستون وثلاثمائة صنم اخذ يطعنها بالقوس وهو يقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدىء
الباطل وما يعيد.

هكذا كان قواد الجيش يبدعون أعمالهم دائما في الفتوح
بالتقرب الى الله تعالى .. قال عمر بن ابي وقاص قائد الجيش الى
القادسيه ما نصه .. يا سعد اني آمرك ومن معك من الاجناد
بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل العدة على العدو
واقوى المكيده في الحرب وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا

من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش اعوان عليه من
عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن
لنا بهم قولا لأن عدونا ليس كعدوهم وعدتنا ليست كعدتهم فان
استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وان لم نصر
عليهم بفضلنا عليهم في الطاعة لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم
في سيركم حفظه من الله يعلمون ما تفعلون.

دعا رسول الله ﷺ يوم الفتح عثمان بن طلحة فأخذ منه
مفتاح الكعبة ودخلها فرأى الصور تملؤها ومن بينها صورتان لآبراهيم
واسماعيل يستقسمان بالازلام فمحا ما في الكعبة من صور ثم صلى
ودار في البيت يكبر ولما انهى تطهير البيت من الاصنام والصور
وقف على باب الكعبة وقريش تنظر ماذا يصنع فقال: لا إله إلا الله
وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.
الا كل مائة أو مال فهو تحت قدمي هاتين الا سدانه البيت
وسقاية الحاج.

يا معشر قريش .. ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية
وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب «يا أيها الناس إنا
خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير».

يا معشر قريش .. ما ترون انى فاعل بكم .. قالوا: خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم .. قال : فانى اقول كما قال يوسف عليه السلام
لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
اذهبوا فانتم الطلقاء.

وهكذا وقف التاريخ يستروح انفاسه يسجل عظمة الرسول
القائد الذى انتصر فكان العفو الشامل عن قوم ناصبوه العداء
احدى وعشرين سنة من يوم رفع الله لواء التوحيد الى يوم الفتح.

ما اجمل العفو عند المقدرة

واذا عفوت فقادرا ومقدار

لا يستهين بعفوك الجاهلاء

وإذا أخذت العهد أو اعطيته

فجميع عهدك ذمة ووفاء

امر النبي ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن .. وقال قوم من قريش
أخذتهم العزة بالاثم والكبرياء الكاذبة «الم يجد محمد غير هذا
الغراب فيؤذن لنا واخبر الوحي بما حدث فجمعهم الرسول وقرأ
عليهم قوله جل شأنه.

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» .
نعم يا رب العزة فالتقوى هى السلاح الأقوى .
الناس من جهة التصوير اكفاء
ابوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم فى اصلهم شرف
يتفاخرون به فالطين والماء

كيف يتكبر ابن آدم وهو حفنة من تراب تداس بالاقدام .
طهر المسلمون البيت من الأصنام وأتم محمد ﷺ فى أول يوم
فتح مكة ما دعا اليه من عشرين سنة، أتم تحطيم الاصنام والقضاء
على الوثنية فى البيت الحرام بمشهد من قريش وأقام محمد ﷺ بمكة
خمسة عشر يوما فنظم خلالها شئون مكة وفقه اهلها فى الدين
وارسل بعض المفارز للدعوة للإسلام ولتحطيم الأصنام من غير
سفك للدماء .

وهكذا تتجلى صور العفو عند المقدرة فصاحب القلب العظيم
لا يعرف التشفى بل الصبر عند البلاء ويرضى بالقضاء ويشكر فى
السراء ولا يعرف الشماته بالاعداء بل يضع نصب عينيه قول الله

تبارك وتعالى «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم».

● حديث عن الحج :

«واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى
للطائفين والقائمين والركع السجود واذن فى الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضمير يأتين من كل فج عميق».

لما قال ابراهيم اذن فى الناس بالحج قال ابراهيم يا رب وما يبلغ
صوتى.

قال له الحق جل جلاله يا ابراهيم عليك الآذان وعلينا الابلاغ.
فصعد ابراهيم على جبل الى قبيس ونادى : «ايها الناس إن
ربكم بنى بيتا فحجوه».

فاجابته الأرواح فى عالم الغيب الامين لييك اللهم لييك لييك لا
شريك لك لييك ان الحمد والنعمة لك والمملك لا شريك لك.
واعجب معى لصيغة التلبية انها توحيد خالص يدل على افراد
العبودية لله جل فى علاه مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وافعالا
ومن فضل الله تعالى على حجاج بيت الله من مات منهم محرما

بعث يوم القيامة مليا ولا بد من سؤال يطرح نفسه في هذا المقام
لماذا شرعت التلبية في الحج ذلك لان الحج توحيد خالص وتفرغ
القلب مما سوى الله تعالى.

سبحانك ربي ..

ارى الناس افواجا ومن كل بقعة
اليك انتبهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك والاقدار مختلفات

نعم شرعت التلبية ايدانا واعلاما بأن الحج توحيد واخلاص
فليس في الطواف بالبيت أى شائبة تعكر صفو التوحيد كما زعم
الملاحدة المعاندون وهل كان الطواف إلا بأمر من الله الواحد وهل
هو الا حول بيته العتيق وهل نحن الا جزء من هذا الكون الذى
يسبح في السماء والماء فإذا كنا نطوف بالبيت فى كوكبنا هذا فإن
الملائكة تطوف بالبيت المعمور فوق السماء السابعة والافلاك وعالم
النجوم كلها فى طواف دائم كل قد علم صلاته وتسيحه ان طوافنا
بالبيت انما هو محض امثال لأمر الله الخالق الأعلى وهل تقويل
الحجر الا تسجيل لاسمائنا فى سجل التشريفات الالهية وامثال

كامل واتباع مطلق لما امرنا به الاسلام.

ولله در الفاروق عمر عندما قال وهو يقبل الحجر (انى اعلم
انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ
يقبلك ما قبلتك).

وانه اتباع وطاعة وسمع ووفاء وولاء وانقياد واذعان وتفويض وتسليم
لأمر مالك الملك وملك الملوك، وهل الشرب من ماء زمزم إلا اشارة
قوية الدلالة على ان هذا الاسلام يحب الحياة الصافية المليئة بالرى
والماء الزلال ويرفض الحياة الظالمة القائمة المليئة بالشور والآثام ومن
ثم قال رسول الله ﷺ.
«ماء زمزم لما شرب له».

وقد قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه وهو يشرب من ماء
زمزم.

«اللهم إن نبيك محمداً قال ماء زمزم لما شرب له وانا اشرب بنية
ان تنزل عني الظماً يوم القيامة».
انها دعوة مباركة من ابن المبارك.
وفى ماء زمزم يقول المصطفى ﷺ «ماء زمزم شفاء بلا سقام».

وقد دعا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو يشرب منها
بهذه الدعوة الماثورة.

اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاءً من كل داء.
انها طعام طعم وشفاء سقم واشبع لكل جائع وهى سقيا
اسماعيل وركضة جبريل.

وزمزم تجرى بين عينيك أعينا
من الكوثر المعسول منفجرات
لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
ليبت طهور الساح والشرفات

وهل السعى بين الصفاء والمروة الا درس صريح يمليه الأسلام
على العالم بأن الحياة عمل وجهاد وعرق فمن بات كالا من عمل
يده بات مغفورا له.
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من
رزقه واليه النشور.

وهل سعت هاجر ام اسماعيل بين الصفا والمروة الا لما ارادت
الماء لها ولوليدها وهل هبط جبريل وضرب الأرض بقدمه فنبعت عين
زمزم الا لما تقاطر العرق من جبين هاجر بعد ان طافت سبع مرات

بحثا وراء الماء تصعد فوق الصفا والمروة وتنظر على مدى البصر هل هناك ماء يروى وليدها ان السعى بينهما من شعائر الله «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم».

إن الاسلام العظيم يدعو الى العمل والجهاد وقد قال الله تعالى عقب الأمر بالسعى إلى الجمعة «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون». وقال النبي ﷺ إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال واثني على نبي الله داود كان يأكل من عمل يده.

ونهى عن الاحتكار والاستغلال فقال «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».

وقال من احتكر اربعين يوما يريد الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه».

«يا ايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين».

• حدث يوم الفتح

«من عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين» .. بين
أكاليل الزهور وتيجان السرور وكنوز الدر المنثور وقف التاريخ
يستروح انفاسه ويسجل بمداد الفخار هذا المشهد المهيّب وهذا
المقام المحمود وذلك اللواء المعقود وذاك اليوم المشهود يوم وقف
الرسول القائد بين أهل مكة وقد نصره الله نصرا عزيزا مؤزرا وسألهم
هذا السؤال الرهيب :

«يا أهل مكة ما تظنون إني فاعل بكم».

وعلى وجه السرعة قالوا خيرا .. اخ كريم وابن اخ كريم.
وقال الرسول القائد كلمة حق اصبحت مثلا واصبح الجليل
بعد الجليل يروها.

«اذهبوا فانتم الطلقاء ، أقول لكم كما قال أخى يوسف لاختوته
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين.

اتدرى من هؤلاء الذين اصدر الرسول قراره بالعفو عنهم انهم
قوم ناصبوه العداء طيلة احدى وعشرين سنة من يوم أعلن كلمة
التوحيد فى قلعة الاصنام ومن يوم خرج من غار حراء وكلمته
تحارب من هؤلاء لقد جن جنونهم وثار ثورتهم وقالوا اجعل الآلهة

الها واحدا ان هذا لشيء عجاب.
وأى عجب فى هذا إنك لو سألت العالم من عرشه إلى فرشه
ومن سمائه إلى أرضه وقلت له من خالقك لاجابك بلسان الحال
والقال: انا مخلوق للواحد الديان.

تأمل فى نبات الأرض وانظر الى آثار ماصنع المليك عيون من
لجين شاخصات بابصارهن الذهب السيك على قضب الزبرجد
شاهدات بأن الله ليس له شريك لقد بلغ من عنادهم واستكبارهم
على الحق واصرارهم على الباطل انهم صدوا المسلمين وعلى رأسهم
قائدهم الأعظم الرسول الكريم صدوهم عن دخول مكة لأداء
العمرة فى العام السادس من الهجرة وارسل الرسول اليهم عثمان بن
عفان مفاوضا فتغيب عثمان بينهم وظن المسلمون انهم قد اوقعوا به
شرا فجلسوا تحت الشجرة على الجهاد ان كان عثمان قد اصيب
بسوء وفى هذه البيعة يقول سبحانه لقد رضى الله عن المؤمنين إذ
يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم
واثابهم فتحا قريبا.

لقد سميت هذه البيعة بيعة الرضوان وحسبك ان يرضى الله
عنك فهذه نعمة لا تدانيها نعمة حتى قال أحد الصالحين.

فليتك تخلد والحياة مريرة
وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذين فوق التراب تراب

وما لبث عثمان ان عاد سالما ترفرف على رأسه رايات السكينة.
فقدان بين هذه البيعة وبين موقف المشركين المعاندين الذين
وصفهم الله فى قوله :

«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوبا
ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان
تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من
يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما».

وحضر سهيل بن عمرو مندوبا عن المشركين ووقع مع الرسول
القائد معاهدة الحديبية وهى هدنة تضع الحرب فيها اوزارها لمدة
سنتين اثنتين وعاد الرسول الى المدينة مرفوع الرأس موفور الكرامة
لأن الله اعلمه بانه داخل مكة ظافرا منتصرا «ان الذى فرض عليك

القرآن لرادك الى معاد».

وفي العام السابع من الهجرة تحقق قول الله جل شأنه.
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان
شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم
تعلموا فجعل من دون ذلك فتحة قريباً «هو الذى ارسل رسوله
بالمهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً».

حقا ان العاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين.
فلو علمت مدى تعنت هؤلاء الجاحدين فى معاهدة الحديبية
لوليت منهم فرارا ولملئت من ظلمهم رعبا، استمع الى قول الله جل
وعلا يصف حالهم وقتها.

«إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى وكانوا
احق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما».
ان هذا تحقيق لوعده الله.

ففى العام الثامن من الهجرة تحقق قوله جل شأنه «وهو الذى
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم

عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا». فلقد انجز الله وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده.

فالله اكبر ولا أجد قبله ولا بعده وهكذا تمت كلمة ربك الحسنی على هذه الجماعة التي جمع الله اوصافها في آية كريمة قال فيها سبحانه وتعالى «محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كريح اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما».

— ابواب الرحمة

لما امر الله تعالى ابراهيم بقوله وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود كان لذلك حكمة بالغة بينها الرسول الكريم في قوله «إن الله ينزل على حجاج بيته كل يوم عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين واربعين للمصلين وعشرين للناظرين».

فإذا كان مجرد النظر إلى البيت الحرام عبادة فما اعظم من رحمة الله وما أجل فضله ومن ثم فإن ابواب السماء تفتح بالقبول في أربعة مواضع.

عن رؤية الكعبة شرفها الله.

وعند نزول الغيث.

وعند التحام الصفوف قتالا في سبيل الله.

فالحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يخشى فناء ولا زوالا له ما فى السماوات وما فى الأرض شهود على عظمته لا يجد العقل له شيئا ولا مثالا من ذا الذى يشفع عنه الا بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وفوقاً وتحتاً ويمينا وشمالا ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ولا يدرك احد لكنه مثالا وسع كرسيه السماوات والأرض وكل يبدى من هيئته خوفا واجلالا ولا يؤوده حفظهما وان كانا ثقالا وهو العليم العظيم الذى تعاضم عزا واجلالا.

جل ربي فى عزة قد تعالى

وسما قدره فعز منالا

احد ما جد كريم عظيم
ليس يخشى على الدوام زوالا
جل عن مثبه له ونظير
ليس تحصى له العقول مثالا

فسبحانه من اله افترض حج بيته الحرام على عباده فشدوا اليه
رحالا دعاهم لقربه فما استبعدوا في حبه بعيداً ولا استهلوا احوالا
سار بهم الدليل فكيف يضلون السبيل ووجوههم في ظلام الليل
تتألاً.

غريب ان يقال بعد هذا التوحيد الخالص ان في الحج شيئاً من
الوثنية لا يقول هذا الا كل افاك اثم وشيطان رجيم وملحد عنيد
مريد.

اي وثنية في الوقوف بعرفات وهو ركن الحج الاعظم وقد
اجتمعت الملايين من البشر في ثياب واحدة تجردوا فيها من الخيط
فالرؤوس عارية والاجسام إذا رأيتها خيل إليك أنها بعثت من الاموات
ونشرت في صعيد القيامة فلا ملك ولا مملوك ولا سيد ولا عبد ولا
عظيم ولا حقير ولا غنى ولا فقير ولا وزير ولا صغير الكل يردد نداء
واحدا ودعاء قد دعتة القلوب الملك واحد لا شريك له.

تحرروا من عبادة الفرد وعبادة الدنيا والمال تحرروا من الأصنام على مختلف اشكالها بشرية وغير بشرية لم تجمعهم لإجهزة الاعلام ولم توزع عليهم تذاكر الدعوة أو المكافآت ولم يساقوا سوق القطيع وقد امتلأت قلوبهم نفاقا ورياء انما جمعتهم دعوة الخليل ابراهيم «فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

دعائهم واحد لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
قال رجل لابن عباس وقد سمعه يردد هذا الذكر الحكيم لماذا لا تدعو الله يوم عرفه.

قال ابن عباس لأن الله تعالى يقول في الحديث القدس الجليل من شغله ذكرى عن مسألتي اعطيته أفضل ما اعطى السائلين.
فأى وثنية وقد تحرر هؤلاء من كل الوثنيات العاتية وعبادة الطواغيت من الدنيا ومتاعها وزخارفها وطغيانها.

الى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولى وجهة البيت ناظرا
وسيما مكان البشر والقسمات
لدى الباب جبريل الامين براحة
رسائل رحمانية النفحات

عبد الحميد كشك

طبع بمطابع المزة بالأسكندرية
تليفون : ٤٣٠١٣٤٨ — ٤٣٠١٣٤٩

